لوامع البرق الموهن

عبد الكريم الجيلي



لوامع البرق الموهن في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن

عبد الكريم الجيلي

المقدّمة :

بـــسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُظهر أسمائه وصفاته ، في أكمل مظهر خلقه من نور ذاته ، فجعله قلب الوجود ، وخلاصة كل موجود ، وصيّره أكمل عابد دلّ على المعبود ، فهدى الخلق ، وأظهر الحق ، بنفي الريب والجحود ، وكشف عن بصائر الكمّل رفع الحجاب لصحة الشهود ، فكان واسطة عقد نظام سلك الظل الأزلي الممدود ، حتى نطق بلسانه ، معبّرا عن أعظم شانه ، في طوره الأكمل الأفضل ، بقوله ؛ لي وقتٌ لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبي مرسَل ، منبّها لنا بذلك ، لنرجع بقطرات وجودنا إلى بحره الزاخر ، فنفوز من كماله بكل وصف فاخر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ، وعترته وأنسابه ، ومن التحق بهم من خلفائه وأحبابه .
أما بعد .. فهذا كتاب اذكر فيه بعض الحضرات القدسية ، التي اتسعتْ لها القلوب المحمدية ، حيث التحقت به في المكانة الصدّيقية ، لعروجها في إثره ، متمسكةً بما علمتهُ من خبره وخيره ، سالكة في الظاهر شريعته ، قابضة بالنواجذ حقيقته ، سائرةً على الدوام طريقته ، حتى أنشد لسان حالهم بقول القائل :

فغنّى لي منى قلبي
وغنّيتُ كما غنّى
فكنّا حيثما كانوا
وكانوا حيثما كنّا

بيد أنّ الكلام في هذه الرسالة ، على إتساع القلب المحمدي وجنانه ، بكلام أجعل إسناده إلى القلب ، مطلقا في بيانه ، والمقصود به القلب الملحق بقلبه صلى الله عليه وسلم وجنانه ، فلذلك فاحت هذه الرسالة من روائح الأمم ، برياح جوامع الكلم ، وهبّت عليها نسمات الكرم ، بنفحات نفائح الحكم ، حتى أنشد لسان حال هذه الرسالة بقول القائل ، لله دره ، إذ قال :

ألا إنّ وادي الجزع أضحى ترابهُ
من المسّ كافوراً وأعواده رندا
وما ذاك إلاّ أنّ هندا عشيّةً
تمشّتْ وجرّتْ في جوانبه بردا

وقد سمّاه المفيض المحسن ، بكتاب : *لوامع البرق الموهن ، في معنى ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن* ، وقد رتبتُ هذا الكتاب على ثمانية أبواب ، وهو المسؤول ان ينفع به أولي الألباب ، إنه المُهدي والملهم للصواب .

أبواب الكتاب

الباب الأول : في ذكر تجلي مخاطبات الأنس ، وحضائر القدس ، من القلب .
الباب الثاني : في ذكر تجلي محاضرات الأسماء ، مع العبد في المقام الأسنى ، من القلب .
الباب الثالث : في ذكر تجلي صور التجليات المنزهية عن الهيئات الحسية ، من القلب .
الباب الرابع : في ذكر تجلي ظهور المعاني ، وبطون الصور والمعاني ، من القلب .
الباب الخامس : في ذكر تجلي الأرادة الباهرة ، بظهور حكم القدرة القاهرة ، من القلب .
الباب السادس : في ذكر تجلي الوجود الساري ، وتعيين البديع الباري ، من القلب .
الباب السابع : في ذكر تجلي العليم ، بحال المحدث وشأن القديم ، من القلب .
الباب الثامن : في ذكر تجلي الكمال المطلق ، الموجد للوجود الحق ، من القلب .
والله المستعان ، وعليه التكلان .

الباب الأول

في تجلي مخاطبات الأنس في حضرة القدس من القلب

إعلم إنّ حضرة الخطاب ، أكرم بها من حضرةٍ عجاب ، قد صانها الله عن اللبس ، وعن طوارق الشك والأرتياب ، فيا لها من حضرة محفوفة بالنور والأرشاد والصواب ، من شأنها أن يعقل الخاطر ، ما سمع من غرايب الخطاب ، فتارة أنس ، وتارة هدى ، نعم وقد لمح بالأعتاب ، لله در حضرة قدسية ، يرفع فيها برقع الحجاب.

إعلم ، أيّدنا الله وإيّاك بنوره القديم ، وبروحه العظيم ، لفهم كلامه الكريم ، إنّ القلب المحمدي عبارة عمّن *زهد في الدنيا* ، ولم *يطمع في الأخرى* ، بل سلمَ الأمر إلى المولى ، وجعل الحق سبحانه وتعالى مقصوده من العدوة الدنيا ، والعدوة القصوى ، فتصفى بالأتباع لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، عن الكدرات البشريّة الأنسانيّة ، وتخلص عن قيود الموانع الأكوانية ، وتنزّهَ عن الإخلاد إلى أرض المقتضيات الشهوانية ، فحُفَّ بالأنوار الربّانيّة ، وأيّدَ بالأنوار الرحمانيّة ، ذلك القلب هو حضرة الحضرات كلها ، فيه يكون جميع المجالي ، وهو البالغ المرتقى الى سائر المعالي ، وهو حضرة الخطاب ، والمكالمة ، والمحادثة ، والمسامرة ، والمشاهدة .

وقد بيّنا في الرسائل المتقدمة من هذا الكتاب ، فوق ما بيّن من جميع ذلك ، فلا حاجة إلى الأعادة .

وحضرات كل من جميع هذه الخمس المذكورة ، كثيرة جدا لا تبلغ حدّ الأحصاء ، وأمّهات جميع تلك الحضرات مائة الف حضرة ، وخمسمائة حضرة ، وخمس وعشرون حضرة ، كل حضرة يتفرّع عنها حضرات كثيرة ، لا يعلمها إلاّ الله تعالى فلا يمكن حصرها ، ولكني أذكر من أمّهات جميع هذه الحضرات ، المنسوبة إلى المخاطبة والمكالمة ، إحدى وأربعين حضرة ، هي تجمعها كالأصول للفروع ، ترجع إليها جميع الحضرات المنسوبة إلى المخاطبة ، والمكالمة ، والمحادثة ، والمشاهدة ، وقد أوردنا الكلام سجعا ، ليطرب السامع ، ويعذب وقوعه في الأذهان والمسامع ، فلا أزيد في المعنى ، ولا أنقص ، فيكون من قبيل إختيار الرواية بالمعنى ، وقد أوردناه بلفظه ومعناه .

واعلم ، أنّ كلام الله ، لا يسمعه العبد ، إلاّ بالله ، فلا تظنهُ بالجهة ، والمسامتة ، فإنّ ذلك ، سماع العبد باذنه ، وأمّا سماعه بالله ؛ فيُنزّه عن الجهة ، والكيفيّة ، والمسامتة المكانيّة ، فكم من أصمّ ، لا يسمع شيئا ، قد شرّفهُ بخطابه ، وقرّبَهُ من جنابه ، فافهم .

الحضرة الأولى : حضرة التأنيس

فيها يعرّف الله عز وجل ، عبده ، بإقباله عليه ، وتدانيه إليه ، ويكشف له عن أسراره المودوعة ، ليأنسَ بها ، فيرجع إلى جنابه ، ويقيم عنده ببابه .

الحضرة الثانية : حضرة المِنصّات

فيها يجلس العبد ، على سرر مرفوعة ، من أكواب موضوعة ، كلها من الأنوار ، وتضربَ عليه الأكلة ، وتوضَع عليه التيجان ، وقد نُصبَ له منبر للمخاطبة ، وقد يُعرَج بروحه إلى السموات ، فيعرّفه الحق ، سبحانه ، بعلوم شريفة ، وأسرار منيفة .
ومنتهى المنصّات ، في هذه الحضرة ، هي المنصّة الكبرى ، المشرفة على جميع منصّات الملكوت ، وتسمّى ؛ الرفرف ، فيه تشرف على الصور الروحانيّة ، المخلوقة من نور جمال الله تعالى ، فإن لم يكن قويّا ، زاغ عقله ، وطاش لبّه ، وإن كان قويّا ، وقف معهنّ ، بالنظر إليهن ، فلا يمكنه أن يصعد ، ولا أن ينزل ، بل يقيم بينهن ، ولا يرتحل ، لأنهن يجذبن القلوب بالطبع ، ما لم يكن القلب ، مملوًا بالله تعالى ، وإلى نوع منهن ، أشار الشيخ الأمام محيي الدين بن العربي بقوله :

حسرنَ أنواع الشموس وقلنَ لي
تورّعْ فموت النفسِ باللحظاتِ
ألم ترَ أنّ الحسنَ يسلب مَن له
عفافٌ فيُدعى سالب الحسناتِ

وهذه الصورة الروحانيّة ، هي مظهر الجمال المطلق ، فمن اشتغل بها ؛ انقطع عن مخاطبة الحق ، بكلامهن ، والنظر إليهن ، ولهذا نصحنَ الشيخ لسبب بعاده ، فقلنَ له ؛ تورّع ، أي عن النظر إلينا .
واعلم إنه ليس من ترقى هذه المنصّات ، بأفضل ممّن لا يعرج اليها ، بل هذه خصوصيّات إلهيّة ، يختص بها من يشاء من عباده ، وإن كان الغير أفضل منه ، ففضل الله لا يخفى .

الحضرة الثالثة : حضرة الأنوار

هذه الحضرة ، يظهر فيها للعبد ، أنوار عجيبة ، على كل لون ، بحيث لا يتكيّف له شيء منها ، ثم يسمع من جانبها ، خطابا إلهيّا ، يذهب في سماعه بكليّته ، ولا يبقى فيه بقيّه ، خلا الطبيعة الألهية ، القائمة بالعبد ، يسمع بها عنه ، ويفهم ما يُقال له ، في حال السّماع ، فلا هو موجود ، فيُقالُ له ؛ سمَعْ ، ولا هو مفقود ، فيُقال ؛ مَن سمَعْ .
وفي هذه الحضرة ، يَعرف العبد ، سرَيان الوحدة في الكثرة ، ويُكشفُ له عن الطرق ألأخرى ، من جريان القدرة في المقدورات .

الحضرة الرابعة : حضرة التقرّب

وهي أعلى من جميع ، ما سبق من الحضرات ، فيها يُسامرُ الحق تعالى عبدَه ، بأنواع المسامرات ، والمخاطبات ، والمحادثات ، ممّا لا يستطيع هذا الكون إنشاؤه ، ولا بد من إظهار ، قطرة من هذا البحر ، لتعلم حقيقة هذه الحضرة ، فقد قيل فيها لبعض الفقراء :

أنتَ سرّي في خلقي
أنتَ القائمُ ، دونَ غيركَ ؛
بكلِّ حقّي ..
أنتَ محلّ نظري من العالم
أنتَ المقصودُ من بني آدم
أنتَ درج الجمال والجلال
أنتَ برزخ الكمال ..
أنتَ الذي تختصّ بالمظاهر الكماليّة
أنتَ الذي تظهر بالأوصاف الجلاليّة والجماليّة
مَن أحبّكَ .. ؛
فقد أحبّني ..
ومَن أحبّني .. ؛
أحببْتهِ ....
ومَن أحَببْتُهُ .. ؛
كنتُ ظاهرهُ ، وباطنه ..

مَن آذآكَ .. ؛
فقد آآآآذاني ..
ومن آذآني .. ؛
فقد آذنتُه بالمحاربة
إلّا أن تشفعَ له صفة من صفاتكَ ، التي أنتَ متحقّق بها ؛
في ذاتك ...
أنتِ المعَّبر ، بهِ ، عنّي
أنتَ المعَّبر ، بي ، عنه ..
أنتَ ذاتي
وأنا ... ؛ صفاتكْ
أنتَ صفاتي
وأنا ... ؛ ذاتكْ

فيا لها من حضرة تقريب ، وتأهيل وترحيب ، لم يزل لسان حال الداخل فيها ، يتمثل بقول القائل :

قد كانَ ما كانَ ممّا لستُ أذكرُهُ
فظُن خيراً ، ولا تسأل عن الخَبرِ

واعلم ، انّ هذه الحضرة ، مخصوصة بالضعفاء ، من أهل البداية ، فإذا تقوّى العبد لله ، بالله ، فارَقها ، وجاز إلى غيرها ، فلا يُقالُ له شيء من هذا النوع ، فافهم .

الحضرة الخامسة : حضرة التشريف

من خصائص هذه الحضرة ، طهارة العبد من الأقتضاءات السفليّة ، يُخلعُ عليه خلعة التشريف ، فلا يسكن بعدها الى غير الله ابدا ، يتعرّفُ الله فيها إلى العبد ، فيخاطبه بحقيقة التوحيد ، من ذات العبد ، ويعرّفهُ سرّ النكتة الألهيّة ، ليقع من قلبه موقع

التمكين ، فيزول ، بعد ذلك ، عنه ، الحس والتلوين ، فإذا خرجَ من هذه الحضرة ، خرجَ لابسا للخلعة الشريفة طرازها ؛ إنّه أنا الله لا إله إلاّ أنا .

الحضرة السادسة : حضرة التعليم

يقف العبد ، في هذه الحضرة ، تحت ظلّ العرش ، فيسمع النداء ، من الحق تعالى ؛

عبدي ...
تأدّبْ بآداب حضرتي
ولا تطلب منّي شيئاً ، ما هو من خصائصي ..
أضربُ بينكَ وبينهُ حجابُ الغيرة
فلا تنلهُ ابدا ...
إنْ تسلني أن اكن عنكَ ، فيما هو لي ، سائلا ومسؤولا !
عبدي ...
إن بقيتَ لي في حضرتي ؛
فاختر مركز العبوديّة ..
وإنْ بقيتَ بكَ ، في حضرتكْ ؛
فاختر مركز الربوبّية ..
عبدي ...
لا تطلبني من سواك
ولا تطلبني منكْ ..
تركُ الطلب ؛
شركٌ .. وحجاب
لا تترك الطلبْ ؛
تركهُ كفرٌ .. وعتاب
اطلبني .. مني
لا تكن أنتَ الطالب
بل كن أنتَ المطلوب
لأني أنا الراغب

وأنتَ المرغوب
يا ... هذا
ما دُمتَ تراني ... ؛
فأنتَ محجوبٌ .. مني
بعيدٌ .. عني
وإنْ كنتَ مشغولا بكَ ، فيكَ ، عني ، فيَّ .. ؛
فقد وصلتَ إليَّ ..
يا ... هذا
القطعُ عينُ الوصلْ
فاعبر عنهُ
إلى مقام الفصلْ
يا ... هذا
في إيمانكَ ؛ كفرانٌ
وفي كفركَ .. سرّ الأيمان
يا ... هذا
مَن لم يتجرّد عن الأكوان ؛
لا يصل إلى العيانْ
ومن لم يتجرّد عني ؛
لم يعرفني
الرسمُ .. حجابي
والأسمُ .. حجابي
والوصفُ .. حجابي
والذاتُ .. حجابي
وعلى الحقيقةِ ؛
أنتَ .. حجابي
وأنا .. عليكَ ؛ حجابكْ
أنتَ المقصود .. من جميع الوجود
والموجود .. في كل غائبٍ ، ومشهود

لا تُعرّج على الغير
فيما فيه خير

تنبـــــــــــــــــــــــيه :

إذا توسّط العبدُ ، في هذه الحضرة ، يضرب الحق بينه وبين الحضرات الألهية ، حجابا كثيفا ، ليرجع العبد ، بكليّته ، إلى نفسه ، فإذا رجع إلى نفسه ، نال المقام ، وفرّ إلى ربّه ، فلم يجد إلمام ، ثمّ يرجع إلى نفسه ، فلم يجد من إكرام ، فيحتار هذا بين الأقدام والأحجام ، وفي أثناء ذلك يفتح له ، درّة التعريف ، فيدخل منها إلى حضرة التخويف ، وها أنا أبنْ لكَ الأمر فيها ، تارة تصريحا ، وتارة تمويها .

الحضرة السابعة : حضرة التخويف

ينزل بالعبد فيها إلى الأرض السابعة ، ويكشف له عن الحجُب المضروبة بينه ، وبين حضرة الكمال الألهي ، فيستعظمها ، ويهوله الأمر حينئذ ، فيحسب أنّ الوصول ، بحيث أن لا حجاب ، سراب بقيعةٍ يحسبه الضمآن ماء ، فيرجع إلى حضيض العبودية ، ويضع رأسه في أسفل المراكز الأرضيّة ، ويرى أنّ ذلك من لوازم الحقيقة الألهيّة ، فيناديه لسان الحضرة العظموتيّة ، بمخاطبات تليق بحاله ، فيسمعها وحجب العزّة مسدولة ، وأبواب القرب مجهولة ، ومن جملة ما يُقال له ؛ *هذا مقامكَ ، فتأدّبْ بآداب العبد الحقير الذليل ، ولا تدّعي لنفسك شيئا ، فادّعاؤكَ الشيء ، ربوبّية محضة ، كم قد قصمْنا من جبّار عنيد ، ذي سلطان شديد ، وكم أهلكنا من وليّ سعيد ، فصار بعد القرب في المحل البعيد ، أما تخشى فواتَ الدنيا والآخرة ؟ ألم تخف من كرّةٍ خاسرة ؟ طريقكَ الينا ، صعبٌ شديد ، لا يسلم فيه إلاّ الآحاد الخواص ، من خلاصة العبيد ، طريق التوحيد ، كثيرة الزلفات ، والنفوس كثيرة الغلطات ، الهلاك في هذه المفاوز ، أقرب من النجاة ، والموت في هذه المقاطع ، أسرع من الحياة .*

هذه نفسكَ ، قد عجزتَ عنها ، عن التحقق بمعرفتها ، وقصرتِ عن درك صفتها ونعتها ، ولم يكفكَ ذلك ، حتى طمعتَ فيما لا وصول لك إليه ، ولا قرار لمثلك عنده ولديه .

أين أنتَ من سطواتي ، إذا لمعت بها يد القهر من صفاتي ؟ فحينئذ ؛ ما أسرع حلول المنايا ، وأقربَ نزول البلايا ؟

فيا لها من عقبةٍ ما أصعبها ، وطريقةٍ ما أتعبها .

ثمّ يقال له ؛ *أنظر إلى يمينك ...*

فلا يرى لنفسه شيئا من الحسنات

ويقال له ؛ *أنظر إلى يسارك ...*

فيرى نفسه ، محفوفة بالسّيئات

فيسمع خطابا ، من قلبه ، كأنه حديث نفسه ، وهو كلام ربّه ؛

يا ... هذا

ما أجهلكَ بالله ، وما أجرأكَ على الله ، حيث إدّعيتَ التحقق به ، والوصول إليه ، وأنتَ على ما أنتَ عليه .

فعندما يسمع العبدُ ، هذه المخاطبات وأمثالها ، تتزلزل أرضه زلزالها ، ولولا أنّ تأييدا إلهيّا ثبّتهُ ، لصعق روحه ، وهلكت نفسه ، وذهبَ ، لتزلزل أرضه زلزالها ، من شدّة الخوف ، في الذاهبين .

وحينئذ ، يرجع إلى ملازمة حضرة العبوديّة ، ويُقبل على الألتجاء ، والأخلاص لله بالكليّة ، فيهبُّ عليه ، من حضرة القرب ، نسيم العناية ، لتتميم أطياب البداية ، التي تنعطف عليها ، أطياب النهاية ، فيُفتح له هنا ، باب حضرة الترجّي ، والتلقي ، فاسمع ما يُقال فيها ، تعريفا ، وتنبيها .

الحضرة الثامنة : حضرة الترجّي

يفتح الله للعبد في هذه الحضرة ، باب المعارف الكماليّة ، ثم يكشف له عن خزائن الحق المحض ، فيرى ما لا عين رأتْ ، ولا أذن سمعتْ ، ولا خطرَ على قلب بشر ، ولو خطر على قلب أحد ؛ لما عَبَدَ اللهَ ، ثقة منه بعموم ذلك الجود ، الذي يكفي قطرة منه ، جميع الكائنات ، أولا وآخرا ، باطنا وظاهرا ، فيحصل للعبد ، إذا ذكره ، هيمان عجيب ، يذهل فيه عن المقتضيات الكونية ، فيُفتح له باب فوق رأسه ، فيقال له ؛ *انظر مِن هنا ، الى ما فوقك ..*

فيرى مقاما كريما ، ومنزلا عظيما ، فيسأل عنه ، فيقال له ؛ *هذا مقام الولاية ، ومحل المعرفة والدراية ، أتقيم فيه ، فتأويه* ؟ فيقول ؛ *لا أقنع ..*

فيُفتح له ، من فوق رأسه ، باب آخر ، فيقال له ؛ *أنظر إلى ما هنالك ..*

فيرى منزلا ، محفوفا بالأنوار ، مزخرفا بغرايب الأسرار ، فيسأل عنه ، فيقال له ؛ *هذا محل البداية ، ومنظر التصرفات الأولّية ، أتقيم فيه ، فتحلّه وتأويه* ؟ فيقول ؛ **لا أقنع** ...

فيُفتح له ، فوق رأسه باب ثالث ، فيُقال له*؛ أنظر إلى ما هنالك* ..

فيرى منصّة عظيمة ، ومنزلة كريمة ، فيسأل عنها ، فيقال له ؛ *هذه منزلة الوَتدّية* ، المحفوفة بالكمالات الأبديّة ، أتقيم فيها ، فتأويها ؟ فيقول ؛***لا*** أقنع ...

فيُفتح له ، فوق رأسه ، باب رابع ، عظيمٌ واسع ، فيُقال له ؛*أنظر إلى ما هنالك* ، إلى ما فوق رأسك ، ترى مكانا مثيلا ، ومجدا أثيلا ، فيسأل عنه ، فيُقال له ؛ *هذه مرتبة القطبّية ، ومنزلة الغوثّية ، أتقيم فيها ، فتثق بها* ؟ فيقول ؛*لا أقنع* ...

فيقول له الحق ؛ *ما تريد ؟ وما الذي تطلب* ؟ ...

فيقول ؛*لا أطلبُ شيئا سواك ، ولا أنزلُ إلاّ بفناك* ...

فيقول له*؛ ما مقصودكَ مني* ؟ ..

فيقولُ ؛ *عينُ مقصودكَ عنكْ* ...

فيقولُ ؛ *وعزتي وجلالي ، لو ملتَ إلى شيء من تلك المراتب ، أو سكنتَ في منصب من تلك المناصب ؛ لطردناكَ منا ، وأبعدناكَ عنا ، ولكن ، مَن طلبنيِ ؛ وجدني ، ومن وجدني ؛ ما فقدَ شيئا ، لكَ ، عندنا ، كل ما رأيتَ ، وفوقَ ما رأيتَ ، ولنا منكَ ، ما لكَ منا ، لنا فيكَ قصدٌ لا تبلغهُ آمالكَ ، ولا يصل إليه عقلكَ ولا بالك ، فهل تطلب بعدها شيئا ؟ فيقولُ ؛ نعم ، ويقول ؛ لا* ...

ولم يزل يكرر قول ،*لا* ، و*نعم* ، حتى يقع في الحيرة ، فيفتحُ الله له بابا إلى حضرة الإمداد ، فيمدّه ، بنوره الهادي إلى الرشاد ، وهناك يأمل ، ما ألفهُ ممّا تنشره تلك الحضرة ، وتطويه .

الحضرة التاسعة : حضرة الإمداد

لحضرة الإمداد في الأكوانِ
وُسْعٌ وهمّةٌ من عزيز الشانِ
ولها السّرايةِ في الحضائر كلها
بالقبضِ والإمدادِ والأحسانِ
كمالُ حضرتها ، بها ، في نفسها
تختصُّ بالكمّلْ من الأخوانِ
لا يرتقيها في الأنامِ ناقصٌ
كلاّ ، ولا غِمْرٌ ، أخو خسرانِ
هي للذينَ قد اجتباهم ربّهم
وتطّهروا من دنس الأكوانِ

اعلم ، وفقنا الله وإيّاك ، انّ حضرة الأمداد ، من خصائص المصطفين ، من عباد الله خصوصا ، فهي ليست لعموم الأولياء ، بل للآحاد من الأفراد ، وذلك ؛ أنّ الله تعالى ، يؤيّد فيها وليّهُ ، بروح القدس ، فتكون جميع حركاته ، وسكناته ، مقبولة في العالم ، ويكون مريدا ، في كل ما يريد ، فلو سألته المسائل المشكلة ، المعضلة ، المتفرّقة من العلوم المجهولة عنده ؛ لأجابكَ قبل سؤالكَ ، على الفور ، بالجواب الحسن ، المقبول ، الذي لا يصلح أن يكون جواب تلك المسائل غيره .

فإذا دخل العبدُ هذه الحضرة ؛ وجدَ فيها ابتهاجا عظيما ، وزيادة في نفسه عظيمة ، حتى يكاد كأنه يخرج من حاله ، لشدّة ما يراه من الزيادة العظيمة .

ولا بد لكل داخل ، في هذه الحضرة ، أن يجد فيها أثر قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فوق رأسه ، فإن بدا له أن يقف تحت القدم ، وقوفا مسامتا له ، كان من الكمّل ، وإن لم يُقدّر له ذلك ، ووقفَ تحته ، سرتْ أمامه ، فنال من الكمال ، بقدر قربه من المسامتة ، وبعد من الكمال ، بقدر بعده من الماسمتة ، لذلك القدم ، ويُعرف عند الأولياء ، *بالأثر المحمّدي* .

سمعتُ في هذه الحضرة ، خطابا للذي كان قائما تحت هذه القدم ، لم أستطع إفشاؤه إلى غيره ، غير أني أقول من جملة ما قال الحق له ؛

يا ... هذا

قد جعلتُ مفاتيح خزائني ، تحت نظرك إلى قلبك ، وأذنتُ لك في الدخول ، إلى خزائن العلوم والأسرار ، بغير إذن ، فتصرّف فيها تصرّف المالك في ملكه ، إذ كنتَ

أنتَ ممّن قد استثنيته في قولي ؛ عالمُ الغيبِ ، فلا يُظهر على غيبه احدا ، إلاّ من ارتضى من رسول ...

يا ... هذا
أنتَ معدن المعارف
ومخزن التحف والظرائف
السعيدُ ؛ من عرفتهُ بباطنكَ ؛ فتأدّبْ
والشقيُّ ؛ من عرفتهُ بظاهركَ ؛ فتجنّبْ
قد جعلتُ في لسانكَ ، وبنانكَ ، علامة جنانك ، وعلوّ مكانك ..
وجعلتُ ، في همّتكَ ، علامة علوّ قدرك
وجعلتُ في مفاوضتكَ ، علامة منازلك
ينتفعُ ، بكَ ، من طلبني ، غاية الأنتفاع
وينخدعُ ، بكَ ، من غفل عني ، غاية الأنخداع
أنتَ ، لي ، المحبوبُ الأعظم
والمطلوبُ الأقدم .

الحضرة العاشرة : حضرة التحذير

أدخلني الحق ، هذه الحضرة ، فقال لي ؛
إحذر من الأكل ، احذر من الشرب ، إحذر من النوم ، إحذر من الراحة ...
ثمّ قال لي ؛
إحذر من ترك الراحة ، إحذر من ترك الأكل ، إحذر من ترك الشرب ، إحذر من ترك النوم ، إحذر من الغفلة ، إحذر من التسهيل في الطلب ، إحذر من الجد والأجتهاد ، إحذر من الأستراحة ، إحذر من التسليم ، إحذر من المعارضة ، إحذر من طلب القرب ، إحذر من خوف البعد ، إحذر من نفسكَ ، فإنها أمّارة بالسوء ، إحذر مني ، فلا أمان عندي ، ويحذركمُ الله نفسه ، لا تحذر مني ، الحذر من الحذر مني ، فأنّ من دخل حضرتي ؛ أمِن ، لأنّ حضرتي ، حرمي ، ومن دخلهُ ، كان آمنا ، إحذر من الحذر ، وعدمه ... فتمثّلتُ ، في نفسي ، بقول القائل ؛

ألقاهُ في اليمّ مكتوفا ، وقال لهُ
إيّاكَ ، إيّاكَ ، أن تبتلَّ بالماءِ

الحضرة الحادية عشر : حضرة التعريف

عرّفني الحق ، في هذه الحضرة ، بحقائق الأشياء ، وأطلعني على مكتمات الأمور ، وجعل لي ينبوعا ، في قلبي ، من العلوم الألهيّة ، دائم الجريان ، وسحابا منهملا ، ورياحا تهبّ من كل جانب ، بغرائب الأخبار ، وعجائب الآثار ، ما دام الليل والنهار ، فلمّا أمطرت السماء ، وفاض على السور بالماء ، قلتُ ؛ ما هذه القطرات ؟ فقال لي الحق ؛ هذا *مقام العرفان* ، فقلتُ ؛ هل فوق هذا من إطلاع ؟ فقال لي ؛ هيهات ، أنت تعدّ في مقام الإفراد ، والإشفاع ، اينَ أنتَ من أمّ الكتاب ؟ إنْ هذا إلاّ قطرة ، من ذلك البحر العباب ...

وفي هذه الحضرة ، سمعتُ خطابا إليَّ ، ألقاهُ الحق عليَّ ، ومعناه ؛

يا ... هذا
لا بدّ من الحجاب
لتحقق الخطأ والصواب

فعندما سمعته ، صرتُ في حضرة التنكير والأرتياب .

الحضرة الثانية عشر : حضرة التنكير

أدخلني الحق هذه الحضرة ، على جهل مني ، وكذا ، سبحانه وتعالى ، يفعل بكل من يُدخله فيها ، فاشتدّ دويّ أبواب المعارف ، وفقدتُ القرب الألهيّ ، وما يحصل في حضرته للعبد من التحف والظرائف ، وابتليتُ بأمور ، ألجأتني إلى الأرتياب ، فوقفتُ ، مبهوتا ، من وراء الحجاب ، فلمّا زاد التنكير ، وطال التعسير ؛ كدتُ أكفر بالله ، وجميع رسله ، وآياته ، لولا عناية أدركتني ، بنفحة من نفحاته ، ولم أزل كذلك مدة من الزمان ، وبرهة من الأوان ، وأنا لا تزور مقلتي هجعة ، ولا ترقى لجفني دمعة ، حتى فنيَ قلبي ، وغابْ ، وتقطعَ ، لبّي ، وذابْ ، وكنتُ أمشي ، بين الناس ، بلا عقل ولب ، وأصيحُ ، في الورى ، بلا فكر ، وقلبْ ، حيرانُ ، هائم ، في عيشة البهائم ، والحق ، تعالى ، يعرّفني به ، من حيث لا أدريه ، ويخاطبني ، من حيث لا اسمعه ، ولا أعيه ، فلمّا استبان الأمر ، وطال ، وأتلفني بدا النكران ، وَصال ، كدتُ أن اهلك ، من شدّة ذلك الحال ، فاذا بدا الفضل والعناية ، فقد رفع من مقلتي ، نقاب حجاب برقع الغواية ، وأوقفني فوق الرشد والهداية ، فسمعتُ ما كان يُقال لي ، منذ دخلتُ الحضرة ، وفهمتُ جميعه ، في خطره ، وعرفتُ ، حينئذ ، حقيقة ما كنتُ فيه من النكران ، فإذا هو ثمرة مشكل علم وعرفان ، وعندها ، سمعتُ الخطاب ؛ أن ادخل مقام المشاهدة ، فقد رُفعَ الحجاب .

الحضرة الثالثة عشر : حضرة المشاهدة

أوقفني الحق ، سبحانه وتعالى ، في حضرة المشاهدة ، المنزّهة عن الجهة والمسامتة ، فشهدتهُ ، سبحانه ، في جميع المظاهر ، الأول منها والآخر ، حتى تجلى في السماء والأرض ، والطول والعرض ، واليمين واليسار ، والجنة والنار ، والخلف والأمام ، والمأموم والأمام ، شهود عين اهل العرفان ، بل شهود أهل العين والوجدان ، غير أنه منوط بالتحقيق والبرهان ، فأفناني ، فيه ، مني ، ثمّ صار لي عوضا ، عني ، فقمتُ ، في مقام البقاء الأعظم ، لابسا للرداء المُعلم ، فقيل ؛ تأخر ، بمعنى ؛ تقدّم ، ثمّ أسدل ، دوني ، حجاب العظمة ، فنوديتُ من خلف سرادق العزة ؛

يا ... هذا

تحقق النظر فينا ، بنا ، فإنّ المشاهدة ، منوهة بالمقاربة والمساعدة ، وذلك من خصائص الغيريّة ، التي هي من اعظم الحجب ، على الحقيقة الأحديّة ، فقلتُ ؛ من لي بذلك ؟ وكيف الوصول إلى ما هنالك ؟ فقال ؛ *بالأنهماك ، والأسترسال ، في حقيقة الحق المتعال ، من غير فتور ، ولا إهمال .*

الحضرة الرابعة عشر : حضرة المكاشفة

ألأمرُ مكشوفٌ لكلّ ناظر
فآنظرهُ ، بالقلبِ ، فما منْ ساتر
هذا الجمالُ ظاهرٌ ، لكنهمْ
قد شُغلوا ، عنه ، بهم ، في الظاهر
أنظر إلى القلبِ ، فما من حاجب
من دون ذا العينِ ، إليها الباصر
لا تحتجب بعوائد الحسِّ الذي
قد قّيدِ الخلقَ بحكم الشاهد
وأطلقَ التحقيقَ في الأمر الذي
تراهُ تخييلاً بحكم الوارد
فكلما تراهُ ، في محلهِ
حقٌ ، فلا تكن له بالجاحد

جذبني الحق عني ، إليّ ، فأطلعني على أسرار من بدايع قدرته ، وغرائب حكمته ، وقال لي ، بلسان حال المقام ؛
أنظر إليك ...
فنظرتُ ، فإذا أنا لوح علوم جميع الأشياء ، غير أنّ النفسَ كانت ، تصحّف بعض تلك الكتابة ، بنقصان شيءٍ من النقط وزيادة ، فاختلّ عليّ بعض الأمر ، فعلمتُ كيف الحيلة ، في منعها ، فقلتُ ؛ مَن المتمكن من تحقيق ما هنالك ؟ فقيل لي ؛ إذا ضُربَتْ سرادق العناية عليك ، تمكنتَ من تحقيق أمرك لديك ، فأدخلتُ حضرة العلامة ، وفزتُ بالسلامة .

الحضرة الخامسة عشر : حضرة العلامة

من خصائص المكالمة الألهيّة ، أن يقع عند المخاطَب ، أنه كلام الحق ، على الفور والسرعة ، ويعلم أحديّة المتكلم ، والسامع ، مع وجود المغايرة ، في عين العين ، ولابدّ من علامة مدركة بالقلب ، معلومة باللبّ ، بها تتميّز المخاطبات الألهيّة ، عن غيرها ، لتقدّمها عند اللباسات الكونيّة ، فإن سألتَ عن هذه العلامة ، عرّفناها لك ، بوجوه ثلاثة ؛
الوجه الأول : خلوص العلم الوارد ، عن قيود العقل والعبارة ، والطبع والأوان ، وسوى ذلك ممّا تجد ، فأولُ هذا الأمر ، أثره .
الوجه الثاني : ورود هذا الوارد ، في المحل الأمكن ، والمشهد الأنظر ، من غيب سرّكَ ، حيث تعلم أنّ جميع متصرفات الكون ، خارجة عن ذلك المحل ، إذ هو حقيقة ذلك الفرق .
الوجه الثالث : أن ترد من كليّتكَ ، على كليّتكَ ، فتسمعه بكليّتكَ ، من كليّتك ، ومن صحّ له هذا المقام ، سألَ من الحق تعالى ، في كل نفس ، ما يريدُ علمه ، فيخبرهُ به الحق ، صريحا ، فيكون أهلا لحضرة المجاوبة .

الحضرة السادسة عشر : حضرة المجاوبة

لا يدخل حضرة المجاوبة ، إلاّ الكمّل من الرجال ، يثق العبدُ بجميع ما يحدث ، في آناء الليل ، وأطراف النهار ، إذا سأل عن ذلك في أي وقت ، من الأوقات ، وكلما سأل عن شيء ، يجيبه الحق ، ويُعلمهُ به .
وهذه الحضرة كل علومها ، جواب ، لا ينادي الحق أحدا فيها بشيء ، بل هي حضرة الجواب .
أقمتُ في هذه الحضرة أيّاما ، فمكثتُ أسأل عن كل ما أراه ، فيحصل لي علمه ، من المبدأ إلى المعاد ، ثمّ غيّبتُ عنه ، إلى حضرة المسألة .

الحضرة السابعة عشر : حضرة المسألة

هذه الحضرة ، يقع فيها السؤال والجواب ، من الجهتين ، يسألُ العبدُ فيجيبُ الربّ ، ويسألُ الربُّ ، وهو أعلم بما يسألُ ، فيجيبهُ العبدُ .
وفي هذه الحضرة ، يُعرّف العبد ، بمكانته عنده ، فيبسطه ، بسطا تقتضيه تلك المكانة ، ولهذا لمّا سأل اللهُ ، تعالى ، موسى ، نبيّه ، صلى الله عليه وسلم ؛ وما تلكَ بيمينكَ ، يا موسى ؟ أجابَه نبيّهُ ، بقوله ؛ هيَ عصاي ، أتوكأ عليها ، وأهشّ بها على غنمي ، ولي فيها ، مآربُ أخرى .. أطنبَ في الجواب ، لما يقتضيه بسط المقام ، وإلاّ كان الجواب الكافي ، أن يقول ؛ عصا .. لعلمه بذلك .
فإنّ المقام ، مقامْ بسط ، يقتضي البسط ، ولعلمه بحقيقة المقام ، قال ؛ ربّي ، أرني أنظر إليكْ ... طلبَ ، صلوات الله عليه ، أن يرى ربّه ، تعالى ، في حضرة المسألة ، التي تقتضي ، سائلا ومسؤولا ، فلا بدّ من وجود تغاير بينهما .
والربوبيّة تقتضي وجود العبوديّة ، وتجرّده عن المظاهر ، يقتضي نقيض ما تقتضيه الحضرتان ، حضرة الربوبيّة ، وحضرة المسألة ، من التغاير والأثنينيّة ، فقال ؛ لن تراني .. أي في حضرة المسألة ، لتجلي الربوبيّة ، مجرّدا عن المظاهر ، لأنّ ذلك نقيض عدم المظاهر ، ووجودها ، من وجهةٍ واحدة ، وبإعتبار واحد ، في حال واحد ، وهو محال ، ولأجل هذا ، قال له ؛ ولكن ، أنظر إلى الجبل ، فإن استقرّ مكانه ، عند تجلي ربوبيّتي عليه ، فسوف تراني ، لأنك ستنظر ، وتثبت .
والمراد ؛ *إذا ظهرتُ لك ، في عين المظهر ، بحيث كنتُ ، أنا ، الظاهر ، والمظهر ، والظهور ؛ أمكنكَ أن تثبتَ لرؤياي ، **لأني ؛ أنتْ** ..*
وأنا ، لا أتغيّر عن ظهوري ، أيَّ ظهور كان ...
فلمّا تجلى ربّه للجبل ، جعله دكا ، والجبل الآن موجود ، فاندكاك الجبل ، عبارة عن إضمحلال الغيريّة ، فذهبَ المسمّى بالجبل ، وتجلى مَن هو عينُ كل شيء ، في الجبل ، وسرى ذلك التجلي ، في موسى ، صلوات الله وسلامه عليه ، فصُعقَ ، وذهبَ في المحقْ ، والطمسْ ، مع الذاهبين ، وكان الحق ، كما لم يزل ، وكان موسى ، صلى الله وسلم عليه ، كما لم يكن .
فحصل لموسى المطلوب ، في صورة المنع ، وذلك أن الربوبيّة ، تقتضي العزّة ، فامتنعَ ، ظاهرا ، لما تقتضيه الحضرة ، وكان ذلك المنع ، عين العطاء ، لما يقتضيه الشأن الوحدانيّ ، فإنّ الواحديّة ، لها الهيمنة ، والسريان ، على كل حضرة .
ولهذا يؤوّل الأمر ، في الآخر ، إليها ، حيث يقول ، سبحانه وتعالى ***؛ لمن*** الملك اليوم؟ وذلك عند ظهوره في مظاهره ، على أنه عينها ، فيجيبُ نفسَهُ ، بنفسِه ؛ لله ، الواحد القهّار .

فلو لم يظهر فيها ، على أنه عينها ، لأقتضتْ أن تكونَ غيره ، وليس ذلك إلاّ مقام الحجاب ، وقد آن أوانه ، ولو ظهر مجرّدا عنها ، لما بقيَ أسم المُلك ، لأنّ المُلك يقتضي ، ملِكا ، ومملكة ، فظهرَ سريان الحكم الواحد ، في الملك ، والمملكة ، فافهم .

الحضرة الثامنة عشر : حضرة المفاوضة

وفيها يُقال للعبد ؛

أنتَ منّا ، بمنزلة الذات من الصفات
فيقِول العبد ؛
أنتَ لي بمنزلة الروح من الجسد
فيقّال له ؛
حقّق النظر
فيقول ؛
بل ، بمنزلة النور من العين
فيقّال له ؛
حقّق النظر
فيقول ؛
بل ، بمنزلة الجسد من الروح
والعينِ من نور الباصرة
فيقّال له ؛
حقّق النظر
فيقول ؛
بل بمنزلتي منك
فيقالُ له ؛
أصبت .. أنتَ منّي ، بما أنا منك

الحضرة التاسعة عشر : حضرة القبض

في هذه الحضرة ، يُقبَض العبد من كل جهة ، ولا يدري من أي جهة ، قبض عليه ، ويُقبض عن العلم بالقبض ، لشدّة القبض ، فيقال له ، كلَّ قول ، ويردّ عليه ، كلَ علم. ويظهر عليه حالٌ عجيبة ، وهو غائبٌ عن جميع ذلك ، لا يسمع ما قيل له ، ولا يفهم ما يردُ إليه ، ولا يرى ما يظهر عليه .

الحضرة الموفية عشرين : حضرة البسط

سببٌ لبسط روحٍ إلهيٍّ ، يَفجأ القلبَ ، فيشرحهُ ، ويتسع القلب لكل شيء .
وفي هذه الحضرة ، يقال له ؛
إفعل ما شئتَ منِ التصرّف في الوجود
فقد ملّكناكَ العالمَ بما فيه
وفي هذه الحضرة ، يُعطى العبدُ ، أزمّة المعاني ، فيقودها إلى القلوب المصطفات ، حيثُ ما أراد الحق .
وفيها يُعطى العبد ، مكانة ، يَعرف فيها ، مَن هو لا يُسئل عمّا يَفعل .
وهذه الحضرة ، لها مقامات كثيرة ، لا تحصى ، ولها شعبٌ إلى كل مقام ، من مقامات الرجال ، ولا تُبسَط إلاّ لأديب أمين ، واقفٌ مع العبوديّة ، غير متعدّ حضرته ، ولا مفارق لمقامه ، وهذه الحضرة ، تسمّى عند المحققين ، بالبسط المطلق ، وباقي حضرات البسط ، كلها بسط على التقييد ، فافهم .

الحضرة الحادية والعشرون : حضرة الهيبة

يتعالى فيه الحق ، بعد التداني ، فتظهر عزته ، وعظمته ، وكبرياؤه ، وجبروته ، ومكره ، وخديعته ، اللائق بحال وجهه ، في نهاية العبد ، فيقال للعبد ؛
أدِّ حقّ هذه الصفات العظيمة
فيكاد أن يتفطر ، من شدّة الهيبة ، لهذه المخاطبة ، لولا أنه يؤيّد بالروح الرحماني .
وفي هذه الحضرة ، يُكشفُ للعبد عن أقوام كثيرة ، طربوا بعد أن طلبوا ، وهجروا بعدما وصلوا ، وبعدوا بعد أن قربوا .
فإذا رأى الوليُّ إليهم ، كاد أن يذوب ، من شدّة الهيبة .
ثمّ يُنقل منه ، إلى الأنس المطلق ، لأنه قد تأدب بشهود أهل المصائب ، في هذه الحضرة .

الحضرة الثانية والعشرون : حضرة الأُنس

يُؤنَسُ العبد ، أولا ، بالعلوم الألهيّة ، الخاصّة بالألقاء الألهي ، لقبول النكتة الألهيّة ، حتى تقع في قلبه ، ثمّ يُؤنس بكشف ما لها ثمّ يُؤنس بمواقع النجوم الأزليّة ، من قلبه ، ثمّ يُؤنس بقبول الصّفات الألهيّة ، بمّ يُؤنس بمعرفة ما لذاته من صفات الكمال ، ثمّ يُؤنس بالتجرّد عن الأسم والصّفة ، ثمّ يُؤنس بالتجرّد عن الذات ، ثمّ يُؤنس بالسريان في صفاته بذاته ، وفي ذاته بصفاته ، وفي كل موجود ، بعين ذلك الموجود ، ولا يزال التأنيس ، مستصحبا في أوائل جميع المقامات الكماليّة ، وأواخرها ، وفي هذه الحضرة ، يؤيّد العبد بالروح القدسيّة ، المشار إليها ، بقوله تعالى ؛ وأيّدناه بروح القدس ، فافهم .

الحضرة الثالثة والعشرون : حضرة الإجلال

يتعرّف الحق للعبد ، في هذه الحضرة ، بما ليس يعرفه ، من العظمة ، والعزة ، فيجله ، ويجهد أن يقدّره حق قدرته ، فيعجز ، ثمّ يؤيّده ، فيقدّره حق قدرته ، كما يستطيعه ، صاحب المقام .
ثمّ يظهر عليه ، من وراء ذلك ، فيجله ، ويُبجّله ، ويجهد أن يقدّره ، فيعجز ، ثمّ يؤيّده ، فيقدّره ، ولا يزال هكذا ، فيقال له ؛

جِلّ الجليل ....

فيقول ؛

لا أحصي ثناءً عليك
أنتَ كما أثنيتَ على نفسك

الحضرة الرابعة والعشرون : حضرة الإجمال

تردُ على العبد ، تعرّفه نفسه بالله ، فيجد عقلَه عين العلم الألهي ، وروحَه عين الحياة الرحمانيّة ، السارية في الموجودات كلها ، ومخيّلته عين إرادة الحق ، ومصوّرته عينَ القدرة الألهيّة ، وبصيرته عين السّمع الألهي ، وقلبَه عين البصر الألهي ، وحديث نفسه عين الكلام ، ويجد كل الصفات الألهيّة فيه ، بحسب تزكيته ، من غير تكلف ، فيجمل ، ويظهر في جمال إلهي ، لا يسع الكون سعته ، فافهم .

الحضرة الخامسة والعشرون : حضرة الأمر

فيها يُقال للعبد ؛ إفعل كذا ، إفعل كذا ، تصل إلى مقام كذا ، سَلني ، أطلب مني ، أنظر إليّ ، إرجع إليّ ، أسكن عندي ، ولديّ ، إقطعْ ، صِل ، أظهر ، أخِفِ ، علمهُم علومي ، قرّبُهم إلى أسلك طريق المقرّبين .

إعقل عنّي
إنزل منّي
إرجع إليك
ما ثمّ غيري
ما ثمّ غيركْ

الحضرة السادسة والعشرون : حضرة النهي

فيها يُقال للعبد ؛

لا تفضل عنّي
لا تنظر إلى غيري
لا تفعل كذا
محرّمٌ تركه كذا
لا تفعل كذا
تصل إلى كذا
لا تسألني
لا تطلب منّي
لا تنظر إليَّ
لا ترجع إليَّ
الكلُّ أنت ...
لا تسكن عندي ؛
أغويك عنّي
لا تصلني ؛
أهجركْ

لا تُظهر
لا تُخفي
لا تُطلعهم على علومي
لا تُقرّبهم إليَّ ؛
تُبعدهم عنّي من طريق أخرى
لأني في الجهة التي تُرغبهم عنها
كما أنا في الجهة التي تجرّهم إليها
لا تنظر الكثرة
لا تنظر الوحدة
لا تكن معك
لا تكن معي
ما ثمّ غيري
ما ثمَّ غيــــــــــــــــــــــــــرك .

الحضرة السابعة والعشرون : حضرة التهذيب

أول ما يُبتلى العبد فيها بالمحن الجسميّة ، ويُنزع عنه صبره ، وعلمه ، ليُبتلى بالمحن والبلايا القلبيّة ، فيسلبُه جميع معارفه وعلومه وتجلياته وأحواله ومقاماته ، ويرجع إلى نفسه صاغرا .
ثمّ يكشف له عن حقيقة العنديّة ، فيراها ، ويعتقد بأحكامها ، فينزل عن الأطلاق ، ويقف عند عجزه ، فيترك الدعاوى ، ثمّ يرتقي إلى حضرة الأسرار ، ليعطيها حقها ، مَن يهديه .

الحضرة الثامنة والعشرون : حضرة الأسرار

يُقال للعبد ؛ لكَ ذا ، ولك ذا ، من المعاني الكماليّة ، ثمّ يُعطى مقاليد الأسرار ، ويُكشف له عن أسماء التكوين ، وعن أحوال التعريف ، وعن أسرار شريفة ، ورموز مرتبة عزيزة ، فتجد عنده لكل شيء زمانا مخصوصا ، بذلك الشيء ، متصل فيه إلى سائر الأكوان ، كما يتصل الشعاع من الشمس ، بالأنسان ، متصرّف بحسب قوابلها ، من جهة ذلك الزمان .

الحضرة التاسعة والعشرون : حضرة الأخبار

يُعرّف اللهُ عبدَه في هذه الحضرة ، بالواقعات الصادرة ، في الأكوان ، عند حلولها ، وبعده ، لا قبله ، من غير أن يحصل من العبد إستشراف إلى علم ذلك .

الحضرة الموفية ثلاثين : حضرة المشاركة

يُعرّف اللهُ عبدَه ، في هذه الحضرة ، بما يشفع في العالم ، من الأمور التي قد قضى الله ، سبحانه وتعالى ، في الوجود ، قبل وقوعها .
وهذا هو الفرق بين هذه الحضرة ، والتي قبلها ، وصاحب هذه الحضرة ، له أن يشفع في رفع البلايا ، بخلاف الأول ، أعني صاحب الحضرة التي قبل هذه الحضرة ، فافهم .

الحضرة الحادية والثلاثون : حضرة التعالي

وهي تسمّى بالتداني ، في اصطلاح القوم .
يُعرّفُ اللهُ تعالى وليّه ، بمدارج القربى ، ويذهبُ به فيها ، حتى يحققه بجميع الكمالات الألهيّة ، على ما هي عليه .
فأولا ؛ يُشهده إيّاها ، ثمّ يوحّدها له ، ثمّ يوحّدها فيه ، ثمّ يُذهبه فيها ، ثمّ يحققه بها .
وفي هذه الحضرة ، تظهر الشطحات ، على الرجال ، إمّا قولا ، وإمّا فعلا ، وإمّا حالا .
فضرورة هذه الحضرة ؛ هذا العز ، لأنّ الأدب فيها ؛ تركُ الأدب ، والقيدُ ؛ تركُ القيد ، فهي إطلاق محض ، وأدب محض .

الحضرة الثانية والثلاثون : حضرة التدلي

يُعرّف اللهُ تعالى ، وليّه فيها ، بأسرار الرجوع إلى العبوديّة ، ومناقبها ، وحصول استيعاب الكمال بذلك المعنى ، فيتدلى وينزل إلى العبوديّة المحضة ، ويُحصّل بذلك الكمالات ، التي لا يمكن تحصيلها إلا في هذه الدار . فلو نفى عند الله ، ولم ينزل ، لفاتته تلك الكمالات .
وهذا التدلي شأن الكمّل من الأولياء ، التابعين للمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الحضرة الثالثة والثلاثون : حضرة العطف

قال ، صلى الله عليه وسلم ، في هذه الحضرة ؛ اليومَ استدار كهيئته يوم خلق الله تعالى الوجود .
تنعطف في هذه الحضرة ، الأوليّة على الآخريّة ، والآخريّة على الأوليّة ، والربوبيّة على العبوديّة ، والعبوديّة على الربوبيّة .
فيقال للعبد ؛

احضر معنا ، بصفات الربّ
فقد حضر الربُّ مع العبد بصفاته

ويقول العبد ، كما قال الشيخ أبو الغيث بن جميل ، رحمه الله ؛

العبدُ ، بكلّ الربّ ؛ عبدٌ
والربُّ ، بكل العبد ؛ ربٌّ

فيقالُ له ؛ نعمَ الأديب أنت .

الحضرة الرابعة والثلاثون : حضرة المخابرة بالحكم الموجود

أيّدكَ اللهُ ، وإيّانا ، لأنّ العبد يُكشف له عن حقيقة النفس ، فيطلع على أنّ البشريّة لا تفنى بالكليّة ، وأنه لا بد من بقيّة حقيقة النفس البشريّة ، فيرجع بذلك إلى مقام العجز ، إذ ليس إلا ذاك ، فتنكسر زجاجة همّته ، لفوات مقام العز ، فيُعرّفه الحق تعالى بسرّ الربوبيّة ، فيُجبرُ كسرَه ، ويُطبّبُ صدعه ، ويقوم في مقام العز ، على ما يقتضيه الكمال ، من عز الصّفات ، لنقص أو سواه .
وفي هذه الحضرة ، يقال للعبد ؛

لولا قبولك للنقص ، كقبولك للكمال ؛ لكنتَ ناقصا
إذ الكمال المطلق له الأستيعاب بكل شيء ، والأحاطة بكل مقام

الحضرة الخامسة والثلاثون : حضرة المسايرة بالياء المثناة من تحت

يُكشفُ للعبد ، في هذه الحضرة ، عن الكمال الألهي ، فينظر بحرا ، لا ساحل له ، فيُؤيّد بالروح الأبديّة ، ويقال له ؛ ساير هذه الكمالات ، فيجد منه كل كمال يراه في هذه الحضرة ، فلا يزال يأتي على الأسماء ، إسما ، إسما ، وعلى الصفات ، صفة ، صفة ، وعلى التجليات ، تجليا ، تجليا ، حتى سائر الكمالات الألهيّة ، بالذات والصفات ، والشؤون ، والأسماء ، والنعوت ، والعارفة البارحة ، والهُويّة ، والآنيّة ، إلى غير ذلك ، ممّا لا نهاية له ، بما لا نهاية له ، فيجدها له ، كما وجدها الله ، سبحانه وتعالى ، فيأخذه هيمان في هذا المقام ، ويغيب عن كل شيء فيه ، بحضوره مع كل شيء ، فيعاتب لنفسه ، للكمال المطلق الأبديّ ، الذي تفرّدَ هو به ، دون مغايرة له .

الحضرة السادسة والثلاثون : حضرة المعاينة

يُقال له في هذه الحضرة ؛

إنّما سايرتَ الغير ، لغيره
ولا غير لك ....

فيسقط من يده ، ويتجرّد عنه ، ليظهر بما له من الأنفراد .
وفي هذه الحضرة ، يُعرّف بحقائق الحق ، فلا يتوارى بعدها حاله ، ولا يغيب مشهوده .

الحضرة السابعة والثلاثون : حضرة الخلع والمواهب

في هذه الحضرة ، يُخلع على العبد خلع الولاية ، فيتمكن من الحضرة أولاً ، ثمّ يتمكن من العالم ثانيا ، ثمّ يتمكن من الكمالات الألهيّة بالذات ، ولا يزال شأنها سائرا في تمكنه من الكمالات الألهيّة ، إلى ما لا نهاية له ، أزلا وأبدا ، وكلما تمكن من كمال إلهي ، خُلعتْ عليه خلعة من خلع الكمالات المحمّديّة ، حتى يصل إلى مقام يرى فيه أثر القدم المحمّدي ، فيسقط دونه ، ولا يستطيع أن يقيم عليه ،

فيظهر له النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وفي يده خلعة محمّدية ، فيخلعها عليه ، فيستقر ، ويتمكن من القيام ، عند ذلك الأثر .
ثمّ يرى أثرا آخر ، فيجري له كما جرى في الأثر الأول ، وهكذا أبد الآبدين .

الحضرة الثامنة والثلاثون : حضرة الولاية

يتجلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بجماله ، في هذه الحضرة ، على العبد ، ويؤيّده بقوّته النبويّة ، ثمّ يوليه الولاية الكبرى ، ويأمره فيه عن الله ، بأموامر تختص بذلك الولي ، لا يمكنه عدم القيام بها .
وفي هذه الحضرة ، يسمع العبدُ ربّه ، يتلو عليه هذه الآية ؛
فاللّهُ هوَ الوليُّ ، وهوَ يُحيي الموتى ، وهو على كلّ شيءٍ قدير .

الحضرة التاسعة والثلاثون : حضرة التكميل

إعلم ، أيّدكَ الله تعالى ، أنّ العبد قد يعجز عن تحققه بمقام الكمال المطلق ، فيكاد أن يفرّ ، لأنه يجد الطريق مصمتا ، لا منفذ فيه ، فيتجلى عليه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بذلك الكمال الذي عجز هذا الوليّ ، عن التحقق به ، فيصرف الوليّ كليّة الحضرة إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ويُشهدَهُ ، في ذلك ، الكمال ، فيقرب من مقابلته ، صلى الله عليه وسلم ، رفيقه إلى قابليّة الوليّ ، فيتقوّى بوساطتها ، للتحقق بذلك الكمال ، فيكمله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بأن يتصدّق عليه ، بدوام بروز رفيقة بعد رفيقة ، ليكمل في كل مقام ، ويتقوّى لما يستحقه ذلك المقام .
فالتكميل لكل كامل ، إنما يكون من الحضرة المحمّديّة ، عَلِمَ ذلك مَن علمه ، وجهله مَن جهله .

الحضرة الموفية أربعين : حضرة الأستخلاف

في هذه الحضرة ، يأمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، العبدَ ، عن الله تعالى ، بالتعريف في العالم ، وهذه على سبع مراتب ؛

المرتبة الأولى : تسمّى **القطبيّة** ، وهي الغوثية الكبرى ، لا تكون إلا لواحد .
المرتبة الثانية : تسمّى **الإماميّة** ، وهي الغوثية الصغرى ، لاتكون إلا لأثنين ، أحدهما ؛ نائب القطب في عالم الأرواح والبرازخ ، والثاني ؛ نائبه في عالم الأجسام.
المرتبة الثالثة : تسمّى **الوتديّة** ، لا تكون إلا لأربعة ، هم نوّاب القطب في الأركان الأربعة من العالم ، شرق وغرب ، وجنوب وشمال .
المرتبة الرابعة : تسمّى **البدَليّة** ، لاتكون إلا لسبعة ، هم نوّاب القطب في الأقاليم السبعة .
المرتبة الخامسة : تسمّى **النقابة** ، لا تكون إلا لأثنيّ عشرَ نفرا ، هم نوّاب القطب ، في سائر الجهات .
المرتبة السادسة : تسمّى **النجابة** ، لا تكون إلا لأربعين ، هم نوّاب القطب ، كل واحد منهم ، في عمل مخصوص .
المرتبة السابعة : تسمّى **الولاية** ، لا تكون إلا لسبعين ، فافهم .
وكل مرتبة ، من هذه المراتب ، يُؤثر العبدُ فيها ، بأمور مخصوصة ، ممّا يُختص بذات بعينه ، وممّا يقوم بالعالم ، وبأمور مطلقة ، ممّا يجمع ذلك كله .
ويكفي هذا القدر من الكلام ، في باب تجلي مخاطبات الأنس ، فإنه لا يكاد يُتناهى ، وقصدنا الأختصار ، والله الموفق ، لا ربّ غيره .

الباب الثاني

في ذكر تجلي محاضرات الأسماء ، في المقام الأسنى ، من القلب

إذا فنيَ العبدُ ، عن نفسه ، وفنيَ عن فنائه ، وأبقيَ باللّه تعالى ،
ثمّ أخلع عليه حلة من حلل الكمال ، ولج بها في حضرة من حضرات التحقيق ، فيطلع فيها على محاضرات الأسماء الألهيّة ، والصفات الكماليّة ، الذاتيّة منها ، والنفسيّة والفعليّة .

فأوّل ما يخاطبه من ذاته الأحديّة ، بلسان الصّرافة الذاتيّة ، فيرجع إلى ذات نفسه ، من حيث هو هو ، فيجد نفسه أحدا بالذات ، لأنه اعتبر نفسه من حيث هو هو ، لا بإعتبار اسم له ، أو صفة فيه ، فيرى نفسه وجودا محضا ، صرفا ، من غير اعتبار نسبة أو عدمها ، بل عين الإطلاق المحض ، وحينئذ يتحقق بصفة الأحديّة .

ثمّ ينزل من ذاته إلى كمالاته ، فأول ما يخاطبه في هذا التنزل ، من هذه الحضرة ، الصفة الفرديّة ، فيجيبها بنفسه ، لعدم حكم تفرّق صفاته فيه ، ولوجد تحقق ذاته بذاته ، من غير ثان أو شبيه ، أو ضد ، إذ ليس فيه سواه ، وحينئذ يتحقق بصفة الفرديّة ، ويسمّى بالفرد .

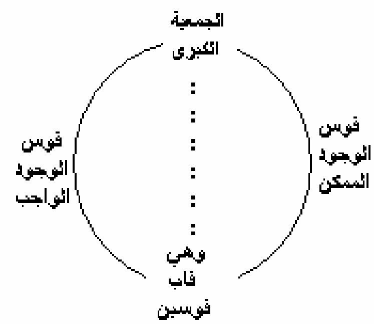
ثمّ ينزل من هذه المرتبة ، في ذاته ، إلى ذاته ، فيخاطبه في هذا التنزل ، من هذه الحضرة ، الصفة الواحديّة ، بلسان جمع الجمع ، فيجيبها ، لكونه يرى نفسه ، عين كل صفة ، من صفاته ، ويرى كل صفة ، من صفاته ، من حيث رجوعها إلى ذاته ، عينُ الأخرى ، فكل شيء من صفاته ، وذاته ، عين الكل .

فظهرتْ الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة ، جميعها باعتبار الواحديّة ، من ذاته ، في ذاته ، المتوحّدة ، المتكثرة ، في عينها وشؤونها .

وحينئذ يتحقق بصفة الواحديّة ، فيسمّى بالواحد .

ثمّ ينزل من هذه المرتبة ، في ذاته إلى ذاته ، فيخاطبه في هذا التنزل ، من هذه الحضرة ، الصفة المسمّاة بالألوهيّة ، ومعناها إعطاء الحقائق حقها ، من العدم والحدوث ، والحقيّة والخلقيّة ، والكمال والنقص ، بالقسطاس العدل ، الموفي كلّ ذي حق حقه ، وتخاطبه هذه الصفة بلسان الجمعيّة الكبرى ، المسمّاة في بعض وجوهها قاب قوسين ، لأنها مجمع قوسي الدائرة الوجوديّة ، التي أحد قوسيها يُسمّى بالواجب ، والآخر يُسمّى بالممكن . كما ترى ؛

صورة هذه الدائرة الوجوديّة :



فإذا حصل خطاب بلسان الألوهيّة لهذه الجمعية ، أجابها بكماله الأزلي الذاتي ، المستوعب لكل نقص وكمال ، فيتصف حينئذ بالألوهيّة ويسمّى بها ، فيُعطي الحقائق حقها ، في مراتبها العلويّة والسفليّة ، جمعا وفرادى ، بطونا وظهورا ، غيبا وحضورا ، تفصيلا وإجمالا ، حقا وخلقا ، قدما وحدثا ، وجوبا وإمكانا .
ثمّ ينزل من هذه المرتبة في ذاته إلى ذاته ، فيخاطبه في هذا التنزل ، من الحضرة الصفة الرحمانيّة ، ليتميّز بالكمال والعلوّ ، دون النقص والسّفل ، ويكون الخطاب بلسان الكمال المحض ، فيجيبها بتميّزه في الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، وينزهه عن الأسماء الشوهاء ، والصفات السفلى ، مفرد بالكمال المحض ، الصرف غير المشوب بنقص أو معارض .
وحينئذ تفيض أحكامها ، أعني أحكام الكمالات على القسم الثاني من الوجود ، رحمة بالكمالات ، لأظهار أعيانها في آثارها ، ورحمة بعين القسم الثاني ، لتعيين وجودها ، فينصرف بالرحمانيّة ، ويُسمّى بالرحمن .
ثمّ ينزل من هذه المرتبة ، في ذاته إلى ذاته ، فيخاطبه في هذا التنزل ، من هذه الحضرة ، الصفة الرتبيّة ، بلسان العزة والتعالي ، فيجيبها بالعظمة والكبرياء ، المقتضي ذاته المستحقة لذلك طبعا ، فيتصف بالربوبيّة ، ويُسمّى بالرب .

ثمّ ينزل من هذه الرتبة ، في ذاته إلى ذاته ، فيخاطبه في هذا التنزل ، من هذه الحضرة ، الصفة الملكيّة ، بلسان السّبع الصفات النفسيّة ، وهي ؛ الحياة ، والعلم ، والأرادة ، والقدرة ، والسّمع ، والبصر ، والكلام .
فيجيبها بحقائق هذه الصفات ، من ذات نفسه ، فتتصف بصفة الملكيّة ، وتسمّى بالملك .. متصفا بهذه الصفات السّبع ، متسمّيا بأسمائها ، ثمّ بماهيّة بقية الأسماء والصفات ، التي تدخل تحت الأحصاء ، والتي يخرج عن حدها ، كل اسم وصفة ، بما هي عليه من الجمال والجلال والكمال ، بلسان مخصوص ، لائق بحضرته ، فيجيبها ، متحققا بها شأنا ، وفعلا ، وتأثيرا ، ظهورا ، وبطونا .
ويكون هجيره عند التوغل في لجّة هذا البحر ؛
الله أكبر ... الله أكبر

وعند إلتقاط جواهره من قعره ؛

أنتَ كما أثنيتَ على نفسك ...

ويكفي هذا القدر من هذا الكلام ، في هذا الباب ، والله الملهم للصواب .

الباب الثالث

في ذكر تجلي التجليّات المُنزّهة عن الهيئات الحسّيّة ، من القلب

لكل قلب قابليّة من الكمال ، لا يتعدّى حدّها ، ولا يقف دونها ، وتلك العالميّة منوطة بحكم التجلي الأقدس ، الذي هو حقيقة تلك الروح ، المتجلية بأطوارها ، في تقلبات هذا القلب المتقلب ، بحكم التجلي القدسي ، المفيض بالقابليّة ، من التجلي الأقدس ، والمفيض من التجلي القدسي ، فإذا اقتضت قابليّة القلب ، ظهور كمال إلهيّ فيه ؛ إتسع القلبُ بنور الأسم الأقدس الذي كان حاكما عليه ، عند تخلقه في التجلي الأقدس ، وأفاض التجلي الأقدس عليه ، بظهور ذلك الكمال ، على حد وسع ذلك الأسم الألهي الذي هو حاكم عليه في حقيقته ، بل هو عين حقيقته .

ومن هنا قال الجنيد ، رضي الله عنه ؛ لون الماء ، لون إنائه .

فنبع في القلب المطهّر ، الباقي بالله ، لكل تجلّ إلهي ، صورة معنويّة مدركة ، معقولة في النفس على حدّها وكمالها ، غير أنه لا يمكنه التعبير عنها باللسان ، لأنها ليست من جنس الصور الحسيّة ، وهي معقولة ، مشهودة ، غير ممكنة التعبير .

والأسم الواحد ، إذا تكرر تجليه في القلب ، يكون لكل تجلّ صورة مخصوصة ، غير الأولى ، ومن ثمّ قال بعض العارفين ؛ ما تجلى اللهُ على عبد بصفتين ، ولا على عبد بصفة مرتين ، إنما يريد بهذه الصفة ، صور التجليات ، وإلا فهو سبحانه ، متجلّ على كل خلقه بالرحمة ، والرحمة صفة واحدة ، لمسمّىً واحد ، وإنما الأختلاف في صور تجليات الرحمة على كل شخص من أشخاص الوجود ، وقس على ذلك جميع الأسماء والصفات ، وهو متجلي بكلها على خلقه ، وهم متفاوتون في صور تجلياتهم عليهم ، وتفاوتهم بحسب نوائلهم وقوابلهم ، بحسب الأسم الأقدس ، والصفة الأقدسيّة التي تصوّرت بحقائق ذواتهم ، فكانت هي أعيانهم .

فمن كان مظهر للصفة القادريّة ، كمن يكون مظهرا للصفة الرازقيّة ، من حيث أن أسمه الرزاق والخالق ، وأمثالهما ، تحت حيطة إسمه القادر .

....

بحسب صورة التجلي الألهي ، تعيّنتْ له الصورة بحسب قابليّته ، وقابليّته بحسب الأسم الأقدس ، الذي هو ، حقيقة ، لا يكون إلا هذا أزلا ، وأبدا ، هنا ، وفي البرزخ ، والدار الآخرة ... طارت الطيور بأرزاقها ، فافهم .

لقد عدلَ الملك وحكمْ
وما جارَ ، حاشاه ، لمّا حكمْ
قضى في الوجود ، بما تقتضيه
كمالاً ونقصاً ، وحقّ القلمْ
سقى الأرضَ أقدارها
على حسَب الأرض لمّا نجمْ
فذاكَ حلوٌ ، وذا حامضٌ
وذلك وردٌ ، وهذا سلمْ
وهذا دواءٌ ، وذاك داءُ
وهذا ثناءٌ ، وذاكَ ذمّ
فبالفضل أعطى الجميع سواء
فبالعدل كلٌ منحتَ القسمْ
فيا لكَ من عادلٍ مفضلٍ
على الجود والمنبع ، أهل الكرمْ

الباب الرابع

في ذكر تجلي ظهور المعاني ، وبطون الصوّر والمعاني ، من القلب

الطهارة من صفات الروح ، والنجاسة من صفات الجسم ، وللأمتزاج التحقتْ صفة كل واحدة منهما بالأخرى ، ثمّ ترتب الحكم من بعد ذلك على الأغلب ، فإذا غلبَتْ نجاسة الجسم على الإنسان ، إنطبع القلب بحكم الجسد ، فصارت روحه في سجن الطبيعة ، وذلك السجن أسفل سافلين ، وإن غلبَتْ طهارة الروح على الإنسان ، إتسع حكم قلبه بحكم الروح ، فصار جسمه مع روحه ، في العالم الروحاني ، وذلك هو المسمّى بعليّين .

فإذا لطف الإنسان الروحاني ، شهد المعاني ، صورا محسوسة ، كما ورد في الأخبار الصحيحة ، إنّ العمل يأتي إلى العبد في البرزخ ، على صور محسوسة ، فإن كانت الأعمال حسنه ، كانت صورها مليحة ، وإن كانت قبيحة ، كانت صورها رديئة ، ولا شك أنّ العمل أمر معنوي ، فيشاهدَه صاحب البرزخ لمّا لطف ، ورحلَ عن عالم الجسم الكثيف ، إلى عالم الروح اللطيف .

هذا هو البرزخ .. والبرزخ ، بين طرفي الجسم والروح ، لأنّ طرفيه منوطا بدار الدنيا والآخرة ، فكيف بك إذا خاض الإنسان ، في الطرف الروحاني المطلق ، وهو الدار الآخرة ، *فما ثمّ إلا شهود المعاني ، صورا محسوسة* ، ملذوذة ، على أتمّ الوجوه وأكملها ، وهذا التخلص إلى الطرف الروحاني المطلق ، *ممكن في دار الدنيا* لإجل *رجلين* ، إمّا رجلٌ يتزكي بالأعمال الصالحة ، من الرياضات ، والمجاهدات ، والمخالفات ، وارتكاب الأهوال ، حتى إطمأنّت نفسه ، وماتت موتة إراديّة ، فذهب عنها عزم مرادات النفس ، وشهواتها ، وطبائعها ، وعاداتها ، وقيودها .

فخلص من ربقة أسرار السجن الأرضي ، السفلي ، الجسمي ، وطارت روحه ، بخواص جسمه ، في فضاء عالمها الروحي العلوي ، فتشكلتْ له المعاني صورا مشهودة ، على حسب ما هي عليه .

فإن قلتَ ؛ كيف يكون ذلك ؟

قلتُ لك ؛ كما يتشكل للنائم الأمور المعنويّة ، الواقعة في المستقبل ، بصور محسوسة ، مشهودة ، كالعلم في صورة اللبن ، والرزق في صورة العيش والشكر ، والملك في صورة السرطان والحمل وأمثال ذلك . كلما لطف بالتزكي ، امحظ ، واخلص ، في

شهود الأشياء المعنويّة ، على صورها الحقيقيّة ، حتى ينتهي إلى شهود الأعيان الثابتة ، في العلم الإلهي ، فإنّ الأشياء في علم الله تعالى ، أعيان ثابتة ، مشهودة له ، سبحانه وتعالى .

والرجل الثاني ، *زكّاه الله* ، فالأول **سالك** ، **مخلِص** ، اسم فاعل ، والثاني *مجذوب* ، **مخلَص** ، قد طهّرَه من دنس الخليقة ، *فأفناه* عمّا سواه ، *وأبقاه* بذاته ، في أسمائه ، وصفاته ، فيتزكى بها التزكية العظمى ، التي أشار إليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، *اللهمّ آتِ نفسي تقواها ، وزكّها أنتَ خير مَن زكّاها* ، وهذا العبد يُستتر عن عينه العيوب الخلقيّة الحسّيّة ، وتتداوله الصور المعنويّة الإلهيّة ، فيكون الخلق عنده ، معقولا في الوجود ، لحفظ المرتبة الخلقيّة ، والحق مشهود له ، لتعيّن الذات الإلهيّة بصور أسمائها ، وصفاتها ، في كل مشهود ، مستودَع ، وباطن ، وظاهر ، وأوّل ، وآخر .
قد ختم الحق ، سبحانه وتعالى ، على قلبه بخاتم الولاية ، فلا يرى ، ولا يسمع ، ولا يعلم ، غير ذاته ، وأسمائه ، وصفاته ، فلا يدخل قلبه غيرٌ ، بحال ، لا في الدنيا ، ولا في البرزخ ، ولا في الآخرة ، فيا لها من حالة إلهيّة ، لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، ولا يتطرّق إليها الحرمان ، ولا يمر عليها الجديدان .
ما ألذها ، وما أحلاها ، *فادخل معنا فيها ، عسى تلقاها* .

الباب الخامس

في ذكر تجلي الإرادة الباهرة ، ومظهر حكم القدرة القاهرة ، من القلب

ما يفعلُ الأشياءَ إلاّ اللهُ
هو فاعلُ الأفعالِ ، ليسَ سواهُ
يُجري إرادتَهُ بكل مكوّنٍ
فيكونُ ما يختارُه ويشاهُ
فجميعُ ما يجري مُرادٌ كلّهُ
للهِ ، وهوَ لحكمهِ أجراهُ
والفاعلون لفعلهم ، لمْ يفعلوا
إلاّ بقدرتهِ ، تعالى اللهُ

إعلم ، أيّدنا اللهُ وإيّاك ، إنّ الصفات الموجودة فيك ، من الإرادة ، والقدرة ، والعلم ، وغيرها ، جميعها صفات الله تعالى ، لكنها بنسبتها إليك ، مخلوقة ، مُحدثة ، وهي عينها ، بنسبتها إليه ، قديمة أزليّة ، فحيث تنبعث إرادتك بشيء ، قد يكون ذلك الشيء ، في عالم القدرة الإلهيّة الباطنة فيك ، وهي الصورة لذلك الشيء في عالم خيالك ، لأنّ الإرادة الإلهيّة إذا أرادت شيئا ، كان ، وقدرتك المعبّر عنها بهمّتك ، هي القدرة الإلهيّة الباطنة فيك .
فإن قلتَ ؛ فما بال الأمر يكون لي في عالم الخيال ، ولا يكون لي في الظاهر ؟
قلنا لك ؛ لأنّ *الحق الذي هو عينك* ، قد أنكرته ، وسمّيته باسم الخلقيّة ، فهو باطن عينك ، فلو كان ظاهرا لك ، عليك ، فعلتَ ، في الظاهر ما تفعله في الباطن ، فلمّا كان هو الأمر عليه ، إنفصلتْ الأشياء في باطنك ، لباطنك ، فلو عرفتَ نفسك موصوفة ، وسرى *حكم معرفتك* ***أنك إيّاه*** *، من باطنك ، إلى ظاهرك* ، لإنفعلتْ لك الأمور في الظاهر ، إنفعالها في الباطن .
والطريق إلى ذلك ، أن تعلم قطعا ، *أنّ إرادتكَ إرادةُ الله تعالى ، وقدرتكَ قدرتُه* ، فتشهد صورة علمك هذا ، في جميع أحوالك ، من أكل وشرب ، ونوم وسهر ، في جميع الأفعال والأقوال .

لا تغفل ، عن شهود صورة العلم ، في شيء منها ، على الدوام والإستمرار ، حتى يصير علمك تعيّن هذا الأمر عينا ، ثمّ يتجلى فيه ، فيصير حقا ، فليس بعد علم اليقين إلا عين اليقين ، وليس بعد عين اليقين إلا حق اليقين ، وبعد ذلك يتسع عليك الأمر ، فتشهد جميع صفاتك لله ، فيكون أنّك أنت ، وتعلم ، حينئذ ، أن *ليس في الوجود سواك* ، فيفنى فيك الذي فنيتَ فيه ، فنُقلتَ من شرَك الشرْك ، وفي هذا المعنى ، قلتُ في قصيدة طويلة ؛

أفنيها حتّى تضبّ من بعد ما
أفنتْ وجودي دائراً سيّانِ
وتجرّدَتْ عنّي وعنها وصفها
ما لقيتْ عيني والعيانُ عياني

ولم يزل ينتقل من طور إلى طور ، ومن مرتبة إلى أخرى ، حتى يسري في كل صفة واسم ، مستور فيه ، في الطور الأول قبولا ، وفي الطور الثاني شهودا ، وفي الطور الثالث وجودا ، وفي الطور الرابع سريانا ، وفي الطور الخامس تحققا ، وفي الطور السادس ممكنا ، وفي الطور السابع فعلا ، وإظهارا للأثر .

وقد كشفتُ لك في هذه النبذة عن *سر* لم يزل أهل الله ، تغار من إفشائه ، ولو لا أنّي أمرتُ بتسطيره ، في هذه الأوراق ، لما فعلتُ ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل.

الباب السادس

في ذكر تجلي الوجود السّاري ، وتعيّن البديع الباري ، من القلب

وجود الحق ، سبحانه وتعالى ، سار في جميع الموجودات ، ولولا ذلك ، لما كان للعالم وجود بحال ، من الأحوال .
وكل شيء من الموجودات ، إنّما هو موجود بوجود الحق ، سبحانه وتعالى ، وحياته بحياة الحق ، تعالى ، فحركة الأشياء إنما هي بوجود الحق ، تعالى ، وهذا سر قوله ، تعالى ؛ *وهو معكم أينما كنتم* ، لأنّ *معّية الحق لازمة لوجودنا* ، *لإنها عين وجودنا* ، وعند المحققين ، أنّ معيّة الحق للخلق ، بالذات ، وعند الشرعيّين ، أنّ معيّته بالعلم ،
ولو جادلناهم ، بلسان التشريع ، لغلبناهم ، وظهرتْ حجتنا عليهم ، من وجهين ؛
الوجه الأوّل : أنّ علمه ليس مغايرا لذاته ، فقولكم معيّته لنا بعلمه ، هو كقولنا أنّ معيّته لنا بذاته ، لأنّ كل ما يجوز نسبته إلى صفاته ، يجوز نسبته إلى ذاته ، وصفاته في التنزيه والكمال ، لاحقة بذاته ، في الآباد والآزال ، فلا وجه لنفوركم من قولنا أنه مع خلقه بذاته ، إذ لا نقص يلحقه من ذلك ، لأنّ ذاته ، سبحانه وتعالى ، ليست كالذوات ، حتى تكون معيّته ، كمعيّة الأشياء ، بعضها لبعض .
وكما أنّ ذاته ليست كالذوات ، كذلك معيّته ، ليست كالمعيّات ، فلا تتعقل إتصال ولا إنفصال ، ولا إتحاد ولا حلول ، ولا قرب مكاني ، ولا بعد ، بل هو كما يعلم ، وكما هو عليه ، مع خلقه ، سبحانه وتعالى .
الوجه الثاني : هو أنّ صورة المعلومات ، في العلم ، ليست غير العلم ، بل هي نفس العلم ، لأن المعلوم ، من حيث هو هو ، لم يحلّ في العلم ، وإنما في العلم صورته ، وتلك الصورة عين شكل العلم ، للعالِم ، وذلك التشكل هو ذات العالِم بالعلم ، فما زاد على ان كان العالِم عين الصورة المعلومة في علمه ، فإذا سلمنا وقلنا أنه معنا بالعلم ، كان ذلك تأكيدا ، لأنه معنا بالذات ، باعتبار ما بينهما .
وإذا عرفتَ ذلك ، عرفتَ سريان وجود الحق تعالى ، في الأسباب ، وظهرتْ لك معيّة وجودها ، وعلمتَ سر قوله تعالى ؛ *الله نور السموات والأرض* ، وإن كنتَ شهما ، عالي الهمّة ، وجدتَ سريانه في الموجودات ، على الطريق الذي ذكرناه في العلم ، وسينكشف لك أمره في الباب التالي ، لهذا الباب ، إن شاء الله تعالى .

الباب السابع

في ذكر تجلي العليم ، بحال المحدَث ، وشأن القديم ، من القلب

ظهورُ العلم في القلبِ الغريبِ
يُطهّرهُ ويُزْكيهِ .... عجيبُ
يُضعِفُ النفسَ مِن طلبٍ لغيرٍ
وإخلادٍ إلى الأرضِ القريبِ
ومن طبعٍ وعاداتٍ لجسمٍ
ومن شهواتِ ذي النفسِ الرئيبِ
ومِن شكٍّ وتِرداد لإمرٍ
سبى كلَّ قلبٍ بالغيوبِ

إعلم ، أيّدنا الله وإيّاك ، *أنّ الله خلقَ الروح ، والإنسان ، من نور ذاته* ، وأودع فيها بواسطة الفعل ، جميع العلوم الإلهيّة . والأرواح الإنسانيّة مجبولة بالفطرة على درك حقائق الأشياء ، كما هي عليه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ؛ *وعلّم آدمَ الأسماءَ كلها* ، فأرواحنا مُعلمة ، جُبلتْ على العلم الإلهي بالأصالة ، وإنما حَجَبَ الناسَ عن درك حقائق ما انطوى في قابليّة الروح ، حكم الجسم الذي امتزجتْ به الروح ، فنزلتْ ، وانتقلت عن محلها ، وانطبعت بطبعه ، متكاثف حجابها عليها ، *فإذا أخذ العبد في الرياضات ، والمجاهدات ، أخذتْ الحجب ، في الإرتفاع عنه* ، لأنّ الأكل ، مثلا ، من خواص الأجسام ، فإذا قلل منه ، رُفعتْ الحجب ودقتْ ، وكذلك النوم وكثرة الكلام ، والإختلاط بالأنام ، *فإذا اعتمد هذه الأربعة* ؛ وهي *حلية الأبدان* ، *ترك الطعام والمنام والكلام والأنام* ، *سقط قيد الجسم ، عن الروح* ، فإذا أضيف إلى ذلك تركُ عادة النفس من *الجزع* عند المصائب ، والإنهماك في *الخواطر والوساوس* ، *والشوق إلى معرفة أخبار الناس* ، واحوالهم ، *والخوف والرجاء* ، والأكل ، إلى غير ذلك ، ممّا هو عادة لها ، وطبع فيها ، *كالفرح بالعاجل* ، *واليأس من الغائب* ، وأمثال ذلك ؛ *تخلصتْ الروح من سجن الطبع* ، وطارتْ في فضاء عالم الأرواح ، فإذا أضيف إلى ذلك ، *تركُ القياس بالعقل والدليل* ، فتأخذ أوّل جواب يُلقيه إليك ، وتحكم به ، واحذر هنا

من اختطافات النفس وتلبّسات الشيطان ، بتلقيه الجواب عنك ، قبل دركك إيّاه ، ويأتيك به على غير صورته ، التي ينزل بها ، واحذر الحكمَ بالعقل والدليل ، في هذا المكان وغيره ، فإنه أشد بليّات المتصدّين لأحد المدركات النفسيّة ، فتأمّل .

الطريق الخامس ؛ ويسمّى طريق البصر ، وهو أن تحدّق النظر بعينك ، فيشكل لك الأمر في أول طبقة من طبقات العين ، خارج الباصرة ، وتلك الباصرة هي الروح الإنسانية ، فتتشكل هي بنفسها لنفسها ، فتراها بعينك ، محسوسة ، والرؤية الحقيقية لروحك ، في خيالك ، لكنه قد يبرز لك في الحسّ ، بواسطة الباصرة ، لأنها عين روحك ، الذي يتشكل فيه الخيال بأمره .

وتحت هذه النكتة ، رمز شريف ، لو عرفته ، لكشفتَ عن سر القلب أيضا .

الطريق السابع ؛ وهو أعلى الطرق وأعزها ، ويسمّى طريق القلب ، وذلك أن تلج بقلبك ، في روحك ، فينزل منه ، في المنزل العلمي ، الإلهي ، على مواضع مطلوبك وحده ، فيفصله ، ويعقله ، وينزل به إلى الحس ، على ما هو الأمر عليه ، وإذا ولجتَ هذا المزل ، وأحببتَ الثناء على ربّك ، فانزل على جميع تلك المرتبة المسمّاة بالصفة العليا ، لكنك إذا رجعتَ إلى نفسك ، ونزلتَ إلى جنتك ، لا تفعل شيئا من إجماله ، بل تشهده شيئا كموج البحر ، تميّزها في محلها ، ولا تفعلها في محلك .

وإذا أردتَ الخروج ، بشيء من جواهر ذلك البحر ، فلا توقع نظرك إلا على المطلوب وحده ، وحينئذ ، تدركه على ما هو عليه ، إن شاء الله تعالى .

وقد كشفتُ لك في هذا الباب ، عن علم جليل ، فلازمه ، وطالب نفسك به على الدوام والإستمرار ، حتى تفوز بالمطلوب ، إن شاء الله تعالى ، وإن فاتَ عليكَ ، فلا أرغمَ اللهُ إلا أنفكَ ، حيثُ حبَوتكَ بما لو مزقتَ عمركَ في طلبه منكَ فيكَ ، لما أمكنكَ أن تعرفه على هذه الحلية ، والله الواهب ، والمبلغ إلى الأمنية .

الباب الثامن

في ذكر تجلي الكمال المطلق ، لوجود الحق ، من القلب

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حاكيا عن ربّه ، عز وجل ، قال تعالى ؛ *ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن* ،
إختلف العلماء في هذا *الوسع* ، فالجمهور على أنه وسعٌ بالإيمان ، والعلم ، والمحققون ذهبوا إلى أنه *وسعٌ حقيقي* ، من غير حلول ، ولا تكييف ، وسوف أبيّن لك ، حقيقة ذلك .
قد علمتَ ، ايّدك الله بالفهم ، أنّ العبدَ المؤمن بالله ، لا بد له من العلم بأنّ ثمّ موجودا واجب الوجود بالذات ، غير مستند إلى غيره ، وله من الكمالات ما اقتضته صفات الإلوهيّة ، كما أخبر عن نفسه ، أو أخبرَ عنه المخبر الصادق ، واقتضاه العقل بالدليل للواجب بالذات ، ولا شك أنّ هذا العلم موجود لك في قلبك ، إذ لا خلاف أنّ معلوم هذا العلم مُتصوّر في علمك ، ثمّ إنه ليس له شأن ، فيكون الموجود ، في علمك ، مغايرا للواجب ، هذا محال ، قد نفاه العقل ، والنقل ، فيتعيّن أنّ الموجود في علمك ، هو عين الواجب بالذات ، بأسمائه وصفاته ، وهو بعينه الموجود في علم غيرك ، ولا يطعن ذلك في أحديّته ، فقد صحّ في الحديث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنّ الرجل في الجنة ، يتمتع في سبعين قصرا ، بسبعين حوريّة ، في الزمان الواحد ، فإذا جاز في المخلوق المحصور ، كيف يستحيل على الخالق الواسع ، المخبر عن نفسه ، بقوله تعالى ؛ *وهو معكم أينما كنتم* .
وقد بيّنا لك فيما مضى ، أنّ هذه المعيّة ذاتية ، وظهر لك ما كشفناه ، أنّ هذا *الوسع* ذاتيّ ، وإيّاك أن تعتقد أنّ هذه المعية *بالممازجة* ، أو هذا الوسع *بالحلول* ، تعالى الله عن ذلك ، فإنّ من أوصافه أن يكون *منزها عن الحلول والممازجة ، والمماسّة والإتحاد* ، وبذلك عرفته أنت وأنا ، وعلى تلك الحالة وحّدته في علمك ، فهو الموجود ، في علمك ، بغير حلول ، فلا يحكم عليه إلا بما هو له ، ولا يُشكل عليك أنّ ما تعلمه بصفات الله وتجلياته ، من عدم النهاية ، فتقول ؛ كيف يمكن وجودها في علمي ، وهي نهاية لها ، وعلمي محدود ومحصور ؟
هذه منزلة شيطانية ، يريد الشيطان أن يرفع بها عقلك ، فلا تغفل عنه ، وانظر ، وتحقق ، وتأمّل ، إن كنتَ قد علمته بأنه لا نهاية له ، فقد ظهر في علمك ، على ما هو عليه ، من عدم النهاية ، وليس علمك هو المقصود لعدم النهاية ، وذلك موجود لك في علمك .

وسر هذا كله ؛ أنت ، وكأنهم إنما عبّروا به عنك ، فدلوك عليك ، من حيث زعمتَ ، أن المدلول غيرك ، فشهدتَ نفسَك بنفسِك ، وأقرنتَ له الكمال الذي شهدته به ، وإنما أقرنتَ به لنفسك .

أما تراك لا تجد في علمك سواك ، ولو فهمته لغيرك ؟

فجميع الكمالات الإلهيّة التي تنسبها إليه ، لا بد لك من وجود أعيانها ، في علمك تتعقلها ، وتنسبها إليه ، وتلك الكمالات هي عين تلك الأعيان ، الموجودة في علمك ، الموجودة في قلبك ، وليس علمك إلا عين ذاتك ، إذ لا تغاير بين الصفة والذات ، ولم يحلّ في علمك سواك .

فاعلم من معلومكَ ، ومن العالم ، تعرف نفسَك ..

وإذا عرفتَ ذلكَ ، عرفتَ ربّك ..

فقد قال ، صلى الله عليه وسلم ؛ **من عرفَ نفسَه ، عرفَ ربّه** .

ولنكتفي بهذه المقالة ، آخر الرسالة ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب ، وصلى الله على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم .

الفهرست